

Quarterly Research Journal of Arabic
ALOROوبا



ISSN (Print): 2710-5172
ISSN (Online): 2710-5180

Volume: 4

Issue: 2 (April – June 2023)

Alorooba Research Journal

ISSN (Print): 2710-5172

ISSN (Online): 2710-5180

HJRS: https://hjrs.hec.gov.pk/index.php?r=site%2Fresult&id=1021427#journal_result

Issue URL: <https://www.alorooba.org/ojs/index.php/journal/issue/view/11>

Article URL: <https://www.alorooba.org/ojs/index.php/journal/article/view/65>

Title:

الشواهد الشعرية في تفسير "المنار" لمحمد رشيد رضا (دراسة صوتية)
*Poetic Evidences in the Interpretation of "Al-Manar" by
Muhammad Rasheed Redha (Acoustic Study)*

Indexation:

ISSN, DRJI,
Euro Pub,
Academia,
Google Scholar,
Asian Research
Index, Index
Copernicus
International,
index of urdu
journals.

Authors:

Nazia Gohar

Research Associate, Department of Arabic
Allama Iqbal Open University (AIU) Islamabad
E-mail: nazia.gohar@aiou.edu.pk
ORCID: <https://orcid.org/0000-0002-6645-1109>

Dr. Qasim Azzam Bhutta

Assistant Professor, Department of Arabic
National University of Modern Languages (NUML) Islamabad
E-mail: qabhattah@numl.edu.pk
ORCID: <https://orcid.org/0000-0001-6006-4776>

Citation:

Nazia Gohar, & Dr. Qasim Azzam Bhutta. (2023). Poetic Evidences in the Interpretation of "Al-Manar" by Muhammad Rasheed Raza (Acoustic Study): الشواهد الشعرية في تفسير "المنار" لمحمد رشيد رضا (دراسة صوتية). Alorooba Research Journal, 4(2), 267-282. Retrieved from <https://www.alorooba.org/ojs/index.php/journal/article/view/65>

Published:

2023-06-30

Publisher:

Alorooba Academic Services SMC-Private Limited Islamabad- Pakistan



الشواهد الشعرية في تفسير "المنار" لمحمد رشيد رضا (دراسة صوتية)
*Poetic Evidences in the Interpretation of "Al-Manar" by
Muhammad Rasheed Redha (Acoustic Study)*

Nazia Gohar

Research Associate, Department of Arabic
Allama Iqbal Open University (AIU) Islamabad
E-mail: nazia.gohar@aiou.edu.pk ORCID: <https://orcid.org/0000-0002-6645-1109>

Dr. Qasim Azzam Bhutta

Assistant Professor, Department of Arabic
National University of Modern Languages (NUML) Islamabad
E-mail: gabhuttah@numl.edu.pk ORCID: <https://orcid.org/0000-0001-6006-4776>

Abstract

Acoustic study is the study of human sounds in order to describe, interpret, analyze, and write sounds. This study relies on phonetics. This science is also called the science of phonetics, and this science is one of the most important branches of linguistics. Regulatory phonology studies the human voice in the structure of speech and relies on analyzing sounds and dividing them into phonemic units that change meaning, as in "ad" and "adh." Changing one sound such as s, s, and ta in the verbs (sar, sar, and taar) have different meanings according to the phonemic unit in them. Since phonology had an impact on the significance of vocabulary and structures, linguists and interpretation studied the sounds in order to know the meanings of the vocabulary in which sentences and phrases are arranged together, and to know the effect of each part of it on the other, especially in the Quranic readings and bring the meanings and rulings of the Quran closer to the mind or understanding. Imam Rashid Raza was one of the most prominent scholars who performed this task and wrote his interpretation of "Al-Manar".

Keywords: Poetic Evidences, Al-Manar, Acoustic, Interpretation, Holy Quran, Muhammad Rasheed Redha.

مقدمة

جاء القرآن الكريم حاوياً لأحكام الشريعة الإسلامية مبيناً لها أحسن ما يكون التبيين، وقد تلقفه الصحابة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفهم والحفظ، فعملوا بأوامره وانتهوا عما نها عنه، وكانوا يعودون إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ليبيّن لهم ما أشكل عليهم أو ما تعسّر عليهم فهمه، فكانت السنة المطهرة مؤكدة ومبينة وموضحة لكل ما ورد في القرآن الكريم من أحكام.

وما أن بعدت المسافة بين الناس وبين الصحابة وتابعيهم وتابعي التابعين، ومع دخول الأعاجم في الإسلام واتساع الدولة الإسلامية وشيوع الضعف في لغة العرب بما خالطها من لغات العجم ولهجاتهم؛ حتى شق على الكثيرين من أبناء العروبة والإسلام أن يفهموا مقاصد الشرع ومعاني السور والآيات، فصار أمر إيضاح معاني القرآن الكريم وتفسيره ملقى على عاتق العلماء والفقهاء الذين حباهم الله من فضله، ما جعلهم ورثة للأنبياء بحق فتصدوا لهذه المهمة بصدق وبهمة، فجاءت كتبهم مفسرة لكتاب الله العزيز مبينة لأحكامه.

وقد عمد العلامة الشيخ محمد رشيد رضا إلى جمع ما تناثر هنا وهناك من دروس أستاذه الشيخ الإمام محمد عبده في التفسير فجمعها في التفسير المسمى بـ "تفسير المنار"، وهو تفسير شامل جامع لصحيح المأثور وصريح المعقول، وازن ما عليه المسلمون اليوم وبين متطلبات التشريع العظيمة التي جاء بها الكتاب المبين، وقد راعى المؤلف في تفسيره هذا سهولة العبارة وطلاوتها ولم يثقل على القارئ بذكر المصطلحات والعبارات التي لا يدرك معناها إلا المشتغلون بهذا الفن، وقد جعله في اثني عشر كتاباً بتفسير فاتحة القرآن الكريم مبيناً وجوه الإعجاز في آيات الله من حيث الأسلوب والبلاغة وبما فيه من علم الغيب، وسلامته من الاختلاف، موضحاً وجه دلالة القرآن على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

وهذا البحث مقسم إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، على النحو التالي:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف (محمد رشيد رضا).

المبحث الثاني: علم الأصوات اللغوية.

المبحث الثالث: الشواهد الشعرية في "تفسير المنار".

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف (محمد رشيد رضا): (١)

محمد رشيد بن علي رضا، ولد في ٢٧ من جمادى الأولى لعام ١٢٨٢ هـ / ٢٣ سبتمبر ١٨٦٥ م، في قرية "القلمون" في (لبنان)، وهي قرية تقع على شاطئ البحر المتوسط من جبل لبنان، وتبعد عن طرابلس الشام بنحو ثلاثة أميال، وتوفي بمصر في ٢٣ من جمادى الأولى لعام ١٣٥٤ هـ / ٢٢ أغسطس ١٩٣٥ م.

كان أبوه "علي رضا" شيخاً للقلمون وإماماً لمسجدها، فعُني بتربية ولده وتعليمه. حفظ القرآن وتعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب، ثم انتقل إلى طرابلس، ودخل المدرسة الرشيدية الابتدائية، ثم المدرسة الوطنية الإسلامية بطرابلس التي كانت تهتم بتدريس اللغة العربية والعلوم العربية والشرعية والمنطق والرياضيات والفلسفة الطبيعية، وقد أسّس هذه المدرسة وأدارها الشيخ حسين الجسر، وكان يرى أنه من الضرورة لُرقي الأمة الجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا على الطريقة الأوروبية الحديثة مع التربية الإسلامية الوطنية.

وحين أُغلقت المدرسة، توثقت صلة رشيد رضا بالشيخ الجسر، واتصل بحلقاته ودروسه، حيث أحاط الشيخ الجسر "رشيد رضا" برعايته، ثم أجازته سنة ١٨٩٧ لتدريس العلوم الشرعية والعقلية والعربية، وفي الوقت نفسه درس "رشيد رضا" الحديث على يد "محمود نشابة" وأجازته أيضاً لرواية الحديث، كما واطب على حضور دروس نفر من علماء طرابلس، مثل: الشيخ عبد الغني الرافعي، ومحمد القاوجي، ومحمد الحسيني، وغيرهم.

ويعتبر محمد رشيد رضا مفكراً إسلامياً من رواد الإصلاح الإسلامي الذين ظهرت مطمح القرن الرابع عشر الهجري. وبالإضافة إلى ذلك، كان صحفياً وكاتباً وأديباً لغوياً. وهو أحد تلاميذ الشيخ محمد عبده. أسس مجلة المنار على نمط مجلة "العروة الوثقى" التي أسسها الإمام محمد عبده.

اتخذ رشيد رضا من قريته الصغيرة ميداناً لدعوته الإصلاحية فكان يلقي الدروس والخطب في المسجد بطريقة سهلة بعيدة عن السجع الذي كان يشيع في الخطب المنبرية آنذاك، ويختار آيات من القرآن الكريم يحسن عرضها على جمهوره، ويبسط لهم مسائل الفقه، ويحارب البدع التي كانت شائعة بين أهل قريته.

وكان يذهب إلى الناس في تجمعاتهم في المقاهي التي اعتادوا على الجلوس فيها لشرب القهوة والنارجيلة، ولم ينجل من جلوسه معهم ووعظهم وحثهم على الصلاة، وقد أثرت هذه السياسة المبتكرة حين أقبل كثير منهم على أداء الفروض والالتزام بالشرع والتوبة والإقبال على الله، كما بعث إلى نساء القرية من يدعوهم إلى درس خاص بهن، وجعل مقر التدريس في دار الأسرة، وألقى عليهن دروسًا في الطهارة والعبادات والأخلاق، وشيئًا من العقائد.

في الفترة التي كان يتلقى فيها رشيد رضا دروسه في طرابلس كان الشيخ محمد عبده قد نزل بيروت للإقامة بها، وكان محكومًا عليه بالنفي بتهمة الاشتراك في الثورة العرابية، وقام بالتدريس في المدرسة السلطانية ببيروت، وإلقاء دروسه التي جذبت طلبة العلم بأفكاره الجديدة، وكان الشيخ محمد عبده قد أعرض عن السياسة، وركز في التربية والتعليم.

وعلى الرغم من طول المدة التي مكثها محمد عبده في بيروت فإن الظروف لم تسمح لرشيد رضا بالانتقال إلى المدرسة السلطانية والاتصال به مباشرة، ثم التقى به مرتين في طرابلس حين جاء إلى زيارتها تلبية لدعوة كبار رجالها، وتوثقت الصلة بين الرجلين، وازداد تعلق رشيد رضا بأستاذه. حاول رشيد رضا الاتصال بجمال الدين الأفغاني والالتقاء به، لكن جهوده توقفت عند حدود تبادل الرسائل وإبداء الإعجاب، وكان جمال الدين في الآستانة يعيش تحت رقابة الدولة حتى وفاته سنة (١٣١٤ هـ = ١٨٩٧م) دون أن تتحقق أمنية رشيد رضا في رؤيته والتلمذة على يديه.

المبحث الثاني: علم الأصوات اللغوية:

الأصوات: الأصوات المنطوقة هي رموز أو علامات للدلالات التي ضمنتها، وهي رموز اصطلاح على أشكالها وكيفياتها في اللغة الواحدة، مثلما اصطلاح على دلالة الكلمة المكونة من مجموعة من الأصوات. (٢)

في العصر الحديث ظهرت تطورات في دراسة الأصوات بإنشاء علم مستقل باسم "علم الأصوات"، وهو العلم الذي يدرس الأصوات بصرف النظر عن وظائفها.

الدراسة الصوتية: دراسة الأصوات الإنسانية من أجل وصف الأصوات وتفسيرها، وتحليلها، وكتابتها، وتعتمد هذه الدراسة على علم الأصوات. (٣)

فروع علم الأصوات:

لعلم الأصوات فروع عديدة من حيث الأهداف والوسائل، من أهمها:

١. علم الأصوات الفسيولوجي: يطلق على علم الأصوات الفسيولوجي مسميات عدة مثل علم الأصوات النطقي، وعلم الأصوات الوظيفي.
٢. علم الأصوات الفيزيائي: يبحث خصائص أصوات اللغة من حيث الفيزيائية أثناء انتقال صوت من المتكلم إلى السامع ويلاحظ نغمة الصوت، ونوع الجرس، والذبذبة.
٣. علم الأصوات السمعي: يبحث هذا العلم في العملية السمعية وطريقة استقبال الأصوات اللغوية وإدراكها عن طريق جهاز السمع البشري.

وتهتم دراسة الأصوات بمخارج الحروف، وصفاتها وكيفية صدورها ويسمى هذا العلم أيضا بعلم الصوتيات، وهذا العلم من أهم فروع علم اللغة. علم الصوتيات ينظر إلى جهاز النطق الإنساني الذي يتكون من الرئتين والقصبه الهوائية، والحلق، والحنجرة، والأوتار الصوتية، واللسان، والحنك، والشفيتين، وجوف الفم، والأنف.

علماء اللغة يقومون بتحديد منطقة الصوت ويسمونها مخرج الصوت، وينسبون كل صوت إلى مخرجه، إذا كان مخرج الصوت اللهاة فيقولون: هذا صوت لهوي، وإذا كان مخرج الصوت الشفتين فيقولون: هذا صوت شفوي، وهكذا جميع الأصوات. ومع اهتمامهم بمخارج أصوات يهتمون بوصف الأصوات، فيصفونها بالهمس، والجهر، والرخوة، والشدة.

يدرس علم الأصوات التنظيمي الصوت الإنساني في تركيب الكلام، ويعتمد على تحليل الأصوات وتقسيمها إلى وحدات صوتية التي تغير المعنى كما في: "عاد" و"عاذ"، فالأول بمعنى رجع، والثاني بمعنى اعتصم، والفرق بينهما هو الدال والذال.

فتغير صوت واحد مثل السين والصاد، والطاء في الأفعال (سار، وصار، وطار) تختلف معانيها باختلاف الوحدة الصوتية فيها. وكذلك الحركات في اللغة العربية فهي أيضا تؤلف وحدات صوتية ولها تأثيرها في تغير المعنى، نحو: "كتبْتُ" للمتكلم، و"كتبتِ" للمخاطب المؤنث، و"كتبتَ" للمخاطب الذكر، و"كتبتُ" للغائبة.

ومن ذلك أيضا ظاهرة الإبدال القياسي في صيغة (افتعل)، فتبدل تاؤها حرفا يجانس ما قبله نحو: ادتعى، اصتفى، ازدهر.^(٤)

دراسة علماء اللغة العربية لعلم الأصوات:

قراءة القرآن دافع أساسي لدراسة الأصوات عند المسلمين عامة وعند العرب خاصة، وأول من بدأ بهذه الدراسة هو أبو الأسود الدؤلي لما ضبط القرآن بالنقط عن طريق ملاحظة كيفية جهاز النطق عند إخراج الصوت، فقال لمن يكتب له:

"إذا رأيتني قد فتحت فمي عند النطق بالحرف، فانقط نقطة فوقه، لتكون

هذه النقطة رمزا للفتحة، وإن ضممت فمي، فانقط نقطة وسط الحرف، كرمز

الضمة، وإن كسرت، فاجعل النقطة تحت الحرف، فهي رمز للكسرة".^(٥)

الخليل بن أحمد الفراهيدي كان إماما في علوم اللغة كلها، وهو أول من التفت إلى الدراسة الصوتية ورتب الأصوات على أساس النطق، وعرف خصائص الأصوات وصفاتها، وألف معجمه "العين" على أساس صوتي، وتحدث عن مخارج الحروف وصفاتها من همس وجهر وشدة ورخوة، وتحدث عن المسائل الصوتية في القراءات مثل الإدغام، والإقلاب.^(٦)

ابن جني عالم نحوي كبير، ألف كتابه الشهير: "الخصائص" الذي يشتمل على قضايا اللغة، وتصاريدها، ولهجاتها، وأصواتها. واستفاد بهذا الكتاب علماء القراءات.^(٧)

علاقة علم الأصوات بالتجويد والتفسير والقراءات:

نزل القرآن بلسان عربي مبين على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وهو أفصح العرب، ولما انتشر الإسلام ودخل الأعاجم في الإسلام، فما كانت العربية لغتهم ولكن القرآن باللغة العربية التي تختلف أصواتها عن لغتهم فكانت الحاجة إلى من يعلمهم لغة القرآن، فقام العرب لأداء واجبهم في نشر القرآن بين الأمم الأعجمية، ووضعوا قواعد علم التجويد، وغاية هذا العلم هو إعطاء الحروف حقوقها، وتمكين النطق بالحرف على هيئته من غير إسراف وإفراط، وتطبيق ذلك على التلاوة القرآنية.

وقد ألفت الكتب في علم أصوات القرآن الكريم لبيان ظواهر صوتية متنوعة كالإظهار، والإدغام، والإخفاء؛ بغية الوصول إلى الغاية المنشودة في حفظ اللسان عن الخطأ في التلاوة القرآنية.^(٨)

وألف الإمام المالقي الأندلسي (٧٠٥هـ) كتاباً في القراءات القرآنية، سماه: الدر النثير، وجمع فيه أحكام القراءات وأصولها على أساس أصوات اللغة وبنائها، وبيّن وجوه أدائها. لما كان لعلم الأصوات أثر في دلالة المفردات والتراكيب فعكف علماء اللغة والتفسير بدراسة الأصوات لمعرفة معاني المفردات التي تترتب بها الجمل والعبارات معاً، ولمعرفة أثر كل جزء منها على الآخر وخاصة في القراءات القرآنية وتقريب معاني القرآن وأحكامه إلى الذهن أو الفهم، فلذلك اهتم المفسرون بالجوانب الكثيرة منها النحوية والصرفية والبلاغية والفقهية والكلامية والصوتية في بيان التفسير؛ لأن كل جانب من هذه الجوانب له تأثير في الدلالة، وقد اهتم المفسر رشيد رضا بجمع هذه الجوانب كلها ولكن كان الاهتمام بالجانب الصوتي ضئيلاً، مع ذلك عنّ للأصوات في بيان القراءات القرآنية لما بين المشتقات، والإبدال، والإعلال، والإدغام، وبين ما تفيد الصيغ الصرفية من معان.

المبحث الثالث: الشواهد الشعرية في "تفسير المنار":

اجتهد علماء التفسير أن يبينوا توجيهات الأوجه الواردة في القرآن لبيان عدم التعارض مع كثرة القراءات في الآية الواحدة للدلالة على أنه من عند الله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً، كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.^(٩)

الإمام رشيد رضا كان من أبرز العلماء الذين قاموا بأداء هذه المهمة، وكتب تفسيره "المنار" ففي هذا البحث جمعت بعض الشواهد الشعرية الواردة في تفسير المنار للدلالة على ذلك.

اختلاف الوحدة الصوتية دون تغيير المعاني

عبّرت عن الحرف القرآني بالوحدة الصوتية لأن الحروف هي الرموز الكتابية للأصوات التي نسمعها.

ثبت بالتواتر من السنة قراءة القرآن الكريم مع الاختلاف في الوحدة الصوتية، أي: في اللفظ المقروء دون الاختلاف في المعنى، كما في لفظ: (الصراط)، حيث نجد تغيير الصوت (ص) لما تنطق (السرط) بالسين، أو بالزاي لما تنطق (الزراط)، فنجد في هذه الكلمات الاختلاف في صوت واحد ولكن المعنى واحد.

القرآن الكريم رسالة الله للناس كافة؛ ولذا يسره الله على الناس، وكان من الناس من لا يتقن لهجة قريش، وقد يعسر على البعض الانتقال من لغته إلى غيرها، فكان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ عليهم القرآن الكريم بلغتهم بأمر الله، مثلاً قبيلة هذيل: (حتى حين) يقرأ عتي حين، وقبيلة الأسدي: يقرأ بكسر حرف المضارعة (تعلمون، وتعلم) مثل هذه الاختلافات اليسيرة التي ليس من بينها التناقض أو التنافي. وهذه الظاهرة الموجودة في كلام العرب كما قال كثير عزة: (١٠)

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسرٍ ولا أرسلتهم برسول
الشاهد في كلمة "رسول"، أن الرسول هنا بمعنى الرسالة، والتقدير: يرسله، واستعمال لفظ الرسول شائع كما بين من شعر كثير عزة، ونفس البيت في رواية "برسيل". ففي "رسول" و"برسيل" اختلاف في صوت الواو والياء، ولكن هذا الاختلاف لا يؤثر على المعنى، ولا يؤدي إلى التناقض، ونجد مثل ذلك في اختلاف القراء في تلاوة (الصِّراط) في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١١). في السِّين والصَّاد وَالزَّاي والإشمام.

فَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ: (السرط) بِالسِّينِ فِي كُلِّ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فِي رِوَايَةِ الْقَوَاسِ وَعَبِيدِ بْنِ عَقِيلٍ عَنْ شُبُلٍ، وَرَوَى الْبَزْزِيُّ وَعَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ فُلَيْحٍ عَنْ أَصْحَابِهِمَا عَنْ ابْنِ كَثِيرٍ بِالصَّادِ فِي كُلِّ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَرَوَى عُبَيْدُ بْنُ عَقِيلٍ عَنْ أَبِي عَمْرٍو أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ: (السرط) بِالسِّينِ، وَرَوَى هَارُونُ الْأَعْمُورِيُّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو أَنَّهُ كَانَ رُبَّمَا قَرَأَ بِالسِّينِ وَرُبَّمَا قَرَأَ بِالصَّادِ، وَرَوَى الْأَصْمَعِيُّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو أَنَّهُ قَرَأَ: (الزراط) بِالزَّايِ خَالِصَةً، وَرَوَى الْيَزِيدِيُّ وَعَبْدُ الْوَارِثِ بِالصَّادِ عَنْهُ فِي جَمِيعِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. (١٢)

الذي قرأ: ﴿السرط﴾ بالسين؛ فعلى أصل هذه الكلمة. والذي قرأ: ﴿الصراط﴾ (١٣) بالصاد؛ فعلى اتباع خط المصحف، والصاد في هذه الكلمة مبدلة من السين لمناسبة الطاء

بعدها، "فالسینُ حرفٌ مهموسٌ فيه تسفلٌ، وبعدها حرفٌ مطبّقٌ مجهورٌ مستعلٍ (هو الطاء) والنطق بالصوت المطبق المجهور بعد الصوت المستفل المهموس، فيه تكلف وصعوبة عند الأداء؛ فأبدل من السين صاداً لمؤاخاتها الطاء في الإطباق والتصعد؛ ليسهل النطق، لأن عمل اللسان في الإطباق والتصعد عملاً واحداً، فيكون ذلك أسهل وأخف." (١٤) والنطق بالصاد في هذه الكلمة منسوب إلى لغة قريش، والسين لغة عامة العرب. (١٥)

ومن قرأ الكلمة بين الصاد والزاي، فإن الكلمة بهذا النطق واردة عن العرب أيضاً، يقول ابن خالويه: "وفي الصراط أربع لغات: السراط بالسين وهو الأصل، وبالصاد لمجيء الطاء بعدها، وبالزاي الخالصة" (١٦). وإشمام الصاد الزاي، كل ذلك قد قرئ به.. وعن أبي حاتم قال: اختلف اثنان في السقر والصقر، فقال أحدهما: بالسين، وقال الآخر: بالصاد. فسألت أعرابياً: كيف تقول أبالصاد أم بالسين؟ فقال: أما أنا فأقول بالزاي (١٧).

ومن الواضح أن هذا الاختلاف ينتمي إلى (المستوى الصوتي). (١٨)

ضحكت عَلَيْهِمْ دَوْلَةٌ هَرَمَتْ وَقَارِبَتْ الْمَعَاظِبِ

الشاهد في "عَلَيْهِمْ" ونجد الاختلاف الصوتي بين القبائل العربية، فينطق أهل الحجاز واليمن عامة (عليهْمُو) ويصلون ميم الجمع بواو. وينطق الباقون بإسكانها (عَلَيْهِمْ)، ولذلك نجد القراءات المختلفة عند قراءة: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (١٩)، وهذا الاختلاف الصوتي لا يؤدي إلى الاختلاف في المعنى.

تغيير المعاني باختلاف الوحدة الصوتية:

ثبت من السنة بالتواتر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن على سبعة أحرف، تارة باختلاف في الوحدة الصوتية لأداء المعاني المختلفة وكلها مطلوبة، ولا يبلغ هذا الاختلاف حد التنافي أو التعارض بل كلها حجة، وكلها مأخوذة بالتلقي مشافهة من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذه الظاهرة موجودة في كلام العرب كما قال الشاعر: (٢٠)

وَرَأَيْتُ زَوْجَكَ فِي الْوُغَى مُتَقَلِّداً سَيْفًا وَرُمْحاً

الشاهد في كلمة (زَوْجَكَ) ونفس البيت في رواية أخرى وفي هذه الرواية زُوي كلمة (زَوْجَكَ) مكان (زَوْجَكَ) كما في تفسير الطبري في تفسير آية سورة الرحمن: ﴿يَخْرِجُ مِنْهُمَا

اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ^(٢١)، فالأصوات التي تغيرت في رواية الشعر هي الراء والحاء. وهذه الأصوات تختلف عن رواية التي ذكرها الطبري في تفسيره: (٢٢)

وَرَأَيْتُ زَوْجَكَ فِي الْوَعَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُحْمًا

فذكر كلمة (زَوْجَكَ) بدلا من (زَوْحَكَ) فالزاء بدلا من الراء، والجيم بدلا من الحاء. فالروح تختلف عن الزوج في المعنى مما يدل على تغيير المعاني بتغيير الأصوات.

واستشهد به الإمام لبيان تعدد القراءات في قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾^(٢٣) حيث قرأ نافع وعاصم بالياء (وَيُعَلِّمُهُ) وَالْبَاقُونَ (وَيُعَلِّمُهُ) بِالنُّونِ. (٢٤) فتغيير الوحدة الصوتية الواحدة تؤدي إلى اختلاف المعنى، الياء في (وَيُعَلِّمُهُ) للواحد المذكور الغائب، والنون في (وَيُعَلِّمُهُ) للجمع المتكلم.

ولقد اختلف القراء في تلاوة: ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾^(٢٥). فقرأ عاصم وَالْكَسَائِيُّ: ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ بِالْألف، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: ﴿مَلِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾^(٢٦) بِغَيْرِ أَلِفٍ، وعليها أهل الحجاز، والفرق بينهما أن المالك ذو الملك بكسر الميم، والمملك بضمها، والقرآن يشهد للأولى بمثل قوله: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾^(٢٧) وللثانية بقوله: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾^(٢٨) فتغيير الوحدة الصوتية الواحدة تؤدي إلى اختلاف المعنى. وقال الطبري: (مالك) لأن الله هو مالك الملك كما في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾^(٢٩).

وَحِجَّةٌ مِنْ قَرَأَ {مَلِكِ} قَوْلُهُ ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾^(٣١). وَقَوْلُهُ ﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾^(٣٢). فتأويل قراءة من قرأ ذلك: (مَلِكِ يَوْمَ الدِّينِ)، أن الله المَلِكُ يوم الدين خالصاً دون جميع خلقه، الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكاً جبابرة ينازعونه الملك، ويدافعونه الانفراداً بالكبرياء والعظمة والسلطان والجبرية. (٣٣)

وأيضا نجد القراءتين المختلفتين في قوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾^(٣٤) وقرئ بالزاي، (نُنْشِزُهَا) وقرئ: (نُنْشِرُهَا) بالراء، (ننشرها) بالزاي معناه: نرفع بعضها إلى بعض حتى تلثم، و(ننشرها) بالراء يعني: نُحْيِيهَا، فَضَمَّنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ المعنيين في القراءتين.

الاختلاف في اللفظ والمعنى

اختلاف في اللفظ والمعنى مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد، لكن يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد، نحو قول أبي تمام: (٣٥)

سبعون ألفا كآساد الشرى نضجت جلودهم قبل نضج التين والعنب

وفي الرواية "أعمارهم" بدلا من كلمة "جلودهم"، ومثل ذلك في قراءة قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾^(٣٦) وقرأ: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالصُوفِ الْمَنْفُوشِ﴾، فهذا الاختلاف لا يصل إلى حدّ التعارض أو التناقض.

التوجيه الصوتي بالشواهد الشعرية

اهتم مفسرنا رشيد رضا بأساليب نسج القرآن، ثم اعتاد أن يبرر أن بعض القراءات كانت منسوجة على لغة العرب في التواصل والتخاطب، ولهجاتهم التي تتكون من النغمات الصوتية التي تختلف عن بعضها البعض، ومما يدل على ذلك ما أظهره من اختلاف القراء عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾. (٣٧)

فسر رشيد رضا الآية وبين ما فيها من الاختلافات الصوتية عند قراءة كلمة (يُقَاتِلُوكُمْ) لما قرئ (يَقْتُلُوكُمْ) وقال أي: إن من سنة الله تعالى أن يجازي الكافرين مثل هذا الجزاء، فيعذبهم في مقابلة تعرضهم للعذاب بتعدي حدوده فيكونوا هم الظالمين لأنفسهم. وقرأ حمزة والكسائي: ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ من قتل الثلاثي، ويخرج على أن قتل بعض الأمة كقتل جميعها لتكافلها. والمراد حتى لا يقتلوا أحدا منكم، فإن قتلوا أحدا فاقتلوه وهو أسلوب عربي بليغ. (٣٨)

ولقد قام رشيد رضا بتوجيه القراءات القرآنية لإثباتها بأنه جاء في أشعار العرب ما يشهد على ذلك، ومن أمثلة توجيه رشيد رضا في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٣٩). بين مفسرنا رشيد رضا ما حدث من تغيير صوتي في قراءة (تساءلون) وقال: قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي "تساءلون" بتخفيف السين، وأصله:

تتساءلون، فحذفت إحدى التاءين للتخفيف، والباقون بتشديدها بإدغام التاء في السين لتقاربهما في المخرج، وكل من الوجهين فصيح معهود عن العرب في صيغة تتفاعلون.^(٤٠)

ثم بين المعاني لما قرئ بالنصب وقال:

معطوف على الاسم الكريم (وَاتَّقُوا اللَّهَ)، أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها، أو اتقوا إضاعة حق الأرحام بأن تصلوها، ولا تقطعوها، ولما قرئ بالجر (الأرحام) حيث حذف عطف على محل الضمير المجرور في (به)، واختاره الأستاذ الإمام. وجوز الواحدي نصبه بالإغراء كالقول المأثور عن عمر (رضي الله عنه): يا سارية الجبل. أي الزم الجبل ولد به. والمعنى: واحفظوا الأرحام، وأدوا حقوقها. وقرأه حمزة وحده بالجر، قيل: إنه على تقدير تكرير الجار، أي واتقوا الله الذي تتساءلون به وبالأرحام، وقد سمع عطف الاسم المظهر على الضمير المجرور بدون إعادة الجار الذي هو الأكثر،^(٤١) وأنشد سيبويه في ذلك قولهم:^(٤٢)

نُعَلِّقُ فِي مِثْلِ السَّوَارِي سُيُوفَنَا وَمَا بَيْنَهَا وَالْكَعْبِ غُوطٌ نَفَانِفُ

وذكر مفسرنا رشيد رضا الدليل من لغة العرب على ما فسر (الأرحام) بالنصب، و(الأرحام) بالجر، فالشاهد عطف الكعب على الهاء والألف في (بينها)، والدليل الآخر وهو قولهم:^(٤٣)

فَالْيَوْمَ قَدْ بَتَّ تَهَجُّونَا وَتَشْتُمُنَا فَاذْهَبْ فَمَا بِكَ وَالْأَيَّامُ مِنْ عَجَبٍ

والشاهد في (الأيام) فجروا الأيام عطفا على موضع الكاف في (بك)، الكاف مبني على الفتح في محل جر.

تسهيل الهمزة الثانية

ومن مباحث اختلاف الأداء في القراءة أن نافعا قرأ رأيت وأرأيتم - بكاف وبغير كاف في جميع القرآن - بتسهيل الهمزة الثانية بأن جعلها بين الهمزة والألف، وقرأ الكسائي حذفها والباقون بإثباتها، وهي لغات للعرب معروفة،^(٤٤) ومن شواهد حذف الهمزة ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٤٥) أصلها: أسأل. ومنها في الشعر:

إِنْ لَمْ أَقَاتِلْ فَالْبَسُونِي بَرْقَعًا^(٤٦)

والشاهد حذف همزة القطع في كلمة (فالبسوي) والأصل أن تكون الكلمة (فألبسوي) ، لأنّ الفعل فعل أمر رباعيّ (أليس).

رفع اللام والتنوين على المبالغة في التشبيه

ومثال ذلك في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾^(٤٧)

قال مفسرنا رشيد رضا: قرأ الجمهور (عمل) برفع اللام والتنوين على المبالغة في التشبيه كرجلٍ عدلٍ، كأنه لفساده واجتنابه للصالح والتزامه العمل غير الصالح نفس العمل.^(٤٨)

وقرأ الكسائي ويعقوب بصيغة الفعل الماضي بتقدير: عملَ عملاً غير صالح، والأول أبلغ، والمراد أنه كان كافراً يعمل عمل الكافرين، والكفر يقطع الولاية بين المؤمنين والكافرين من الأقربين. وقيل إن معنى الجملة: إن سؤالك إياي يا نوح عنه وطلبك لنجاته عمل غير صالح لا أرضاه لك.^(٤٩) كما قالت الخنساء في وصف الناقة: ^(٥٠)

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا ادَّكَّرَتْ فَأَيْمًا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ

الشاهد في هذا البيت من الشعر "هي إقبال وإدبار" برفع اللام والتنوين في "إقبال" ورفع الراء والتنوين في "إدبار" على المبالغة في التشبيه. حيث أخبر عن اسم العين وهو الضمير العائد إلى الناقة باسم المعنى "الإقبال" و"الإدبار". وقد يكون الكلام على تأويل المصدر المشتق كأنها قالت: فإنما هي مقبلة مدبرة.^(٥١)

المواش References

(١) انظر لترجمته:

الأبيض، أنيس: رشيد رضا تاريخ وسيرة، جروس برس، ١٩٩٣م.

الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين - بيروت، ١٩٩٠م.

أرسلان، شكيب: السيد رشيد رضا أو إضاء أربعين سنة، مطبعة ابن زيدون - دمشق، ١٩٣٧م.

عبد الله، نوفل: وتراجم علماء طرابلس وأدبائها، مكتبة السائح - طرابلس، لبنان، ١٩٨٤م.

درنيقة، محمد أحمد: السيد محمد رشيد رضا إصلاحاته الاجتماعية والدينية، مؤسسة الرسالة - دار الإيمان، ١٩٨٦م.

Al-'abīd, Anīs: Rašīd Reḍā Tārīḥ Ūa sīraṭ, 1993.

Al-Zereklī, ḥaīr Al-Dīn: Al-'a'lām, 1990.

Arslān, Šakīb: Al-Saīd Rašīd Reḍā Aū Iḥā' Arb'in Sanaṭ, 1937.

'bd Al-Lah, Naūfal: Tarāğm 'lamā' Ṭarāblus Ū'udabā'ihā, 1984.

Darnīqṭ, Muḥamad Aḥmad: Al-Saīd Muḥamad Rašīd Reḍā Iṣlāḥātuh Al-eğtemā'iat Wāldīnīat, 1986.

(٢) حسنين، صلاح الدين صالح: المدخل إلى علم الأصوات دراسة مقارنة، ص: ٩، دار الاتحاد العربي - القاهرة مصر، ١٩٨١م.

Ḥasnaīn, Ṣalāḥ Al-Dīn Ṣāleḥ: Al-Madḥal Ila 'lm Al-'aṣwāt Derāsaṭ Muqāranaṭ, P: 9, 1981.

- (٣) النوري، محمد جواد: علم الأصوات العربية، ص: ١١، جامعة القدس المفتوحة - الأردن، ط / ١، ١٩٩٦ م.
Al-Nūrī, Muḥamad Ḡawād: 'Im Al-'aṣwāt Al-'rabīāt, P: 11, 1996.
- (٤) أنيس، د. إبراهيم: الأصوات اللغوية، ص: ١٨٤، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٥ م.
Anīs, Dr. Ibrāhīm: Al-'aṣwāt Al-Luḡawayāt, P: 184, 1975.
- (٥) المبارك، د. مازن: النحو العربي، العلة النحوية: نشأتها وتطورها، ص: ١٢، المكتبة الحديثة، ط: ١، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.
Al-Mubārak, Dr. Māzen: Al-Naḥū Al-'rabī, Al-'elaṭ Al-Naḥweyāt: Naṣ'atuhā Ūa Taṭuwuruhā, P: 12, 1385ah - 1965.
- (٦) الفراهيدي، الخليل بن أحمد: العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
Al-Farāhīdī, Al-ḥalīl Ibn Aḥmad: Al-'āin, Taḥqīq: Dr. Mahdī Al-Maḥzūmī, Dr. Ibrāhīm Al-Sāmurrā'ī.
- (٧) ابن جني: الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، د. ت.
Ibn Ḡennī: Al-ḥaṣā'is.
- (٨) ابن الجزري، أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣ هـ): النشر في القراءات العشر، المحقق: علي محمد الضباع (ت: ١٣٨٠ هـ)، المطبعة التجارية الكبرى، تصوير دار الكتاب العلمية.
Ibn Al-Ḡazarī, Abū Al-ḥa'ir Šams Al-Dīn Muḥamad Ibn Muḥamad Ibn Īsuf (D: 833AH): Al-Našr Fī Al-Qerā'āt Al-'ašr, Al-Muḥaqeq: 'Alī Muḥamad Al-Ḍabbā'.
- (٩) سورة النساء: الآية: ٨٢.
Sūrat Al-Nnesā', V: 82.
- (١٠) رضا، محمد رشيد: المنار، ٣/ ٢٥٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.
Reḍā, Muḥamad Rašīd: Al-Manār, 3/255, 1990.
- (١١) سورة الفاتحة، الآية: ٤.
Sūrat Al-fāteḥat, V: 4.
- (١٢) التميمي، أحمد بن موسى بن العباس: كتاب السبعة في القراءات، ١/ ١٠٥، المحقق: د. شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، ط: ٢، ١٤٠٠ هـ.
Al-Tamīmī, Aḥmad Ibn Mūsā Ibn Al-'abās: Ketāb Al-Sab'aṭ Fī Al-Qerā'āt, 1/ 105, Al-Muḥaqeq: Dr. Šauqī Ḍaif, 1400 AH.
- (١٣) سورة الفاتحة، الآية: ٤.
Sūrat Al-fāteḥat, V: 4.
- (١٤) القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، ١/ ٣٤، مؤسسة الرسالة، ط: ٣، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
Al-Qāisī, Abū Muḥamad Makkī Ibn Abī Ṭāleb: Al-Kašf 'an Ūḡūh Al-Qerā'āt Al-Sab' Ūa 'elalehā Ūa ḥuḡaḡehā, Taḥqīq: Dr. Muḥyi Al-Dīn Ramaḍān, 1/ 34, 1404 AH - 1984.
- (١٥) الجندي، د. أحمد علم الدين: اللهجات العربية في التراث، ٢/ ٤٤٣، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣ م.
Al-Ḡundī, Dr. Aḥmad 'alam Al-Dīn: Al-Lahḡāt Al-'rabīāt Fī Al-Turāt, 2/ 443, 1983.
- (١٦) الخطيب، د. عبد اللطيف: معجم القراءات، ١/ ١٨، دار سعد الدين - دمشق، ط: ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
Al-ḥṭīb, Dr. 'abd Al-Laṭīf: Mu'ḡam Al-Qerā'āt, 1/ 18, 1422AH-2002.
- (١٧) ابن خالويه، الحسين بن أحمد: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ص: ٢٨ - ٢٩، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٥ م.
Ibn ḥālawayh, Al-Ḥusāin Ibn Aḥmad: I'rāb Ṭalātīn Sūrat Men Al-Qur'ān Al-Karīm, P: 28-29, 1985.
- (١٨) المنار، ٤/ ٢٣٣.
Al-Manār, 4/233.
- (١٩) سورة الفاتحة، الآية: ٧.
- Sūrat Al-fāteḥat, V: 7.*

- (٢٠) المنار، ٢٥٥/٣.
- Al-Manār, 3/255.*
- (٢١) سورة الرحمن، الآية: ٢٢.
- Sūraṭ Al-raḥman, V: 22.*
- (٢٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط / ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- Al-Ṭabarī, Abū Ḡa'far Muḥamad Ibn Ḡarīr (D: 310AH): Ḡāme' Al-Biān 'an Ta'awyl Aai Al-Qur'ān, Al-Muḥaqeq: Aḥmad Muḥamad Šāker, 1420AH - 2000.*
- (٢٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٨.
- Sūraṭ Aal-'Emrān, V: 48.*
- (٢٤) المنار، ٢٥٥/٣.
- Al-Manār, 3/255.*
- (٢٥) سورة الفاتحة، الآية: ٤.
- Sūraṭ Al-fāteḥaṭ, V: 4.*
- (٢٦) المنار، ٢٥٥/٣.
- Al-Manār, 3/255.*
- (٢٧) سورة الانفطار، الآية: ١٩.
- Sūraṭ Al-Infeṭār, V: 19.*
- (٢٨) سورة غافر، الآية: ١٦.
- Sūraṭ Ḡāfer, V: 16.*
- (٢٩) المنار، ٤٠/١.
- Al-Manār, 1/40.*
- (٣٠) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.
- Sūraṭ Aal-'Emrān, V: 26.*
- (٣١) سورة الناس، الآية: ٢.
- Sūraṭ Al-nnās, V: 2.*
- (٣٢) سورة الحشر، الآية: ٢٢.
- Sūraṭ Al-ḥašr, V: 22.*
- (٣٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١ / ١٤٩.
- Ḡāme' Al-Biān 'an Ta'awyl Aai Al-Qur'ān, 1/149.*
- (٣٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.
- Sūraṭ Al-baqaraṭ, V: 259.*
- (٣٥) المنار، ١٧٠/١.
- Al-Manār, 1/170.*
- (٣٦) سورة القارعة، الآية: ٥.
- Sūraṭ Al-qāre'aṭ, V: 5.*
- (٣٧) سورة البقرة، الآية: ١١٩.
- Sūraṭ Al-baqaraṭ, V: 119.*
- (٣٨) المنار، ١٧٠/٢.
- Al-Manār, 2/170.*
- (٣٩) سورة النساء، الآية: ١.
- Sūraṭ Al-nnesā', V: 1.*
- (٤٠) المنار، ٢٧٢/٤.

Al-Manār, 4/272.

(٤١) المرجع نفسه.

Ibid.

(٤٢) المرجع نفسه، ٢٧٣/٤.

Ibid, 4/273.

(٤٣) المرجع نفسه.

Ibid.

(٤٤) المرجع نفسه، ٣٤٥/٧.

Ibid, 7/345.

(٤٥) سورة البقرة، الآية: ٢١١.

Sūrat Al-baqaraṭ, V: 211.

(٤٦) المنار، ٣٤٥/٧.

Al-Manār, 7/345.

(٤٧) سورة هود، الآية: ٤٦.

Sūrat Hūd, V: 46.

(٤٨) المنار، ٧٠/١٢.

Al-Manār, 12/70.

(٤٩) المرجع نفسه، ٧١/١٢.

Ibid, 12/71.

(٥٠) المرجع نفسه، ٧٠/١٢.

Ibid, 12/70.

(٥١) الأشموني: شرح الأشموني لألفية ابن مالك، ١/ ٤٧٦، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط: ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

Al-'aušmūnī: Šarḥ Al-'ašmūnī Le 'alfiaṭ Ibn Mālek, 1/476, 1419AH - 1998.